



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر
عليه
ص

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الرفق في المنظور الإسلامي

مركز الرسالة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرفق فى المنظور الاسلامى

كاتب:

مركز الرسالة

نشرت فى الطباعة:

مركز الرسالة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	الرفق فى المنظور الاسلامى
٧	اشارة
٧	مقدمة المركز
٨	المقدمة
٩	مدخل فى تعريف الرفق
١٠	الفصل الأول الرفق فى القرآن الكريم
١٠	[تمهيد]
١٠	الآية الأولى : (اللين و العفو)
١١	الآية الثانية : (خفض الجناح)
١٢	الآية الثالثة : (عباد الرحمن)
١٤	الآية الرابعة : (هجرا جمىلا)
١٤	الآية الخامسة : (ادفع بالتى هى أحسن)
١٧	رفق الفصل الثانى الرفق فى السنة المطهرة
١٧	[تمهيد]
١٨	١ - الرفق يمن والخرق شؤم :
١٨	٢ - الرفق جمال :
١٨	٣ - جمال ماهية الرفق وحسن جوهره :
١٩	٤ - الرفق خير :
١٩	٥ - الرفق نصف المعيشة :
١٩	٦ - الرفق كرم :
١٩	٧ - الرفق وزير الحلم :
٢٠	٨ - الله رفيق يحب الرفق :

- ٩ - الله يعين على الرفق : ٢٠
- ١٠ - الرفق رأس الحكمة : ٢١
- ١١ - أفضل الصاحبين : ٢١
- ١٢ - الزيادة والبركة : ٢١
- ١٣ - الرفق سور الايمان : ٢٢
- الرفق فى حقوق المؤمنين : ٢٢
- ١٥ - الرفق بالحيوان : ٢٣
- الفصل الثالث الرفق آفاه و فلسفته ٢٧
- أ - إرفق يرفق بك : ٢٧
- ب - قد يكون الرفق خرقا : ٢٨
- ج - الرفق فى العبادة : ٢٩
- د - الرفق والتعمق فى الدين : ٣٠
- هالوغل فى الدين برفق : ٣١
- الخاتمة ٣٣
- تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية ٣٤

الرفق في المنظور الاسلامي

إشارة

عنوان و نام پديدآور: الرفق في المنظور الاسلامي [تهيه و تنظيم مركز الرساله مشخصات نشر: قم مركز الرساله ١٤١٨ق = ١٣٧٦.

مشخصات ظاهري: ص ٦٩

فروست: (سلسله المعارف الاسلاميه ١٠)

شابك: ٩٦٤-٣١٩-٠٨٤-١٨٠٠-٦ريال وضعيت فهرست نويسي: فهرستنويسي قبلي يادداشت: عربي يادداشت: كتابنامه به صورت
زيرنويس موضوع: مهرباني -- جنبه هاي قرآني موضوع: قرآن -- اخلاق شناسه افزوده: مركز الرساله رده بندي كنكره:

١٠٤BP/م ٧٨٧ر ١٣٧٦

رده بندي ديويي: ٢٩٧/١٥٩

شماره كتابشناسي ملي: م ٧٨-٤٢٤٧

مقدمه المركز

رفق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، نبينا محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد ، إن من مهام الدين التي لا تنفصل عنه : تنظيم أنشطة الغرائز الفردية ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية ، وأنشطة الغرائز لوحدها ذات بعدين : فردي تنعكس آثاره على الفرد ذاته ، واجتماعي تمتد آثاره إلى المجتمع لتظهر في طبيعته علاقاته وفي صورته النهائية بالضرورة . . وهذا النظام المعنى بتنظيم ذلك كله هو النظام الأخلاقي ، ببعديه ، الفردي والاجتماعي .

وهو من النظم التي تميزت بها الأديان عن النظريات الوضعية ، حتى عادت هذه الأخيرة تستعير من الأديان بعض جوانب نظم الأخلاق التي لا تستقيم الحياة بدونها .

ان تركيز الاسلام على ثنائية الانسان - الروح والمادة - هو تجلية لواقع الانسان ولضرورات الحياة معا ، وكما أخفق الماديون في

تعطيل حاجات الروح ، أخفق الرهبانيون في تعطيل الحاجات الجسدية والمادية ، ودفع الاثنان ضريبة ذلك في فقدان التوازن ،

توازن حاجات الفرد وحاجات المجتمع ، وكما اضطر الفريق الأول إلى اقتباس بعض تعاليم الايان في اشباع حاجات الروح ، اضطر

الفريق الثاني ولو متنكرا إلى اشباع حاجات الجسد ، خضوعا اضطراريا إلى صرامة القانون الذي تفرضه الطبيعة البشرية الثنائية ، والذي

لا يمكن ضمان استقرار الانسان وتكامله من خلال التمرد عليه ، ذلك القانون الذي نلمس أكمل مصاديق صيانتته في تعاليم الاسلام

الحنيف ، فهو في الوقت الذي يحث فيه على اشباع حاجات الروح بالعبادات من فرائض ونوافل ، صلوات وأذكار وصيام وحج وزكاة

وعطاء ، نراه يحث بالقوة نفسها على اشباع حاجات الجسد.

نعم إن النظام الأخلاقي في بعديه - الفردي والاجتماعي - هو رسالة الأديان السماوية كافة ، ذلك أن مصدر هذه الأديان كلها واحد

، وهو الواحد ذاته المتفرد بخلق الطبيعة البشرية والعالم بسرهما وبما يصلحها ويقودها إلى الكمال والتألق ،

< صفحه ٦ >

ولربما أوجز خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم دعوته في بعض جوانبها بقوله الشريف : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وفي

نص مماثل : إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق .

وإذا كان النظام الأخلاقي ذا بعدين ، فقد عنى الاسلام برعايتهما معا وبالدرجة نفسها دون ترجيح لأحدهما على الآخر ، فكما عنى بصلاح الفرد ووضع له نظامه الذي يصونه ، فقد عنى بصلاح المجتمع ووضع له النظم والضوابط التي تحفظه وتصونه ، ومن تلك النظم والضوابط ما تمثله التعاليم التي تهدف إلى تنمية الروح الاجتماعية لدى الافراد ، ابتداء بالتربية التي توفرها صلاة الجماعة والجمعة ومواسم الأعياد الاسلامية وموسم الحج وصلوة الأرحام وعبادة المرضى والدعاء للمؤمنين سرا وعلانية وأداء التحية وردها وانتهاء بقوانين التكافل الاجتماعي التي لا-تقف عند حدود الزكاة والصدقات بل تتعدى إلى الايثار والتضحية في سبيل المجتمع المؤمن .

وفوق ذلك تميز عمق النظام الأخلاقي في الاسلام بالتأكيد في تعاليم متعددة على أن صلاح أحد العنصرين - الفرد والمجتمع - ليس فقط مكملا لصلاح الآخر ، بل قد يكون وقفا عليه تماما .

ومن هذه الأهمية التي يمثلها النظام الأخلاقي في الاسلام فقد جعل مركز الرسالة للبحوث المعنية في التعريف بهذا النظام حظها المناسب في سلسلة اصداراته الموسومة بسلسلة المعارف الاسلامية ، وهو في اصداره هذا يقدم لقرائه واحدا من الاسهامات الموفقة في تجلية ركن من أركان النظام الأخلاقي ، وهو الرفق .

ذلك الخلق الذي وصفه الحديث الشريف بأنه : لو كان خلقا يرى ما كان مما خلق الله شئ أحسن منه وإنه : لم يوضع على شئ إلا زانه ، ولا نزع من شئ إلا شانه ، نستفي في ظله ساعة ، متنسمين عطر الآي العظيم وحديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومقتبسين شذرات من سير الأسوة الحسنة ، عليها تكون لنا معالم هدى إلى الخلق الكريم .

والحمد لله أولا وآخرا

مركز الرسالة

< صفحه ٧ >

المقدمة

عندما اختفت شمس الهداية خلف غيوم الحضارة المادية ، وحرم الانسان من دفنها وسناها الباعث روح الحياة في هذه النفوس ، قست القلوب وغادرت الرحمة أفق هذا الزمن وضعف الوجدان عن أداء دوره ، وغفا الضمير على نغمت عصره ، فلم يعد للرفق واللطف وما إلى ذلك من مفردات معنوية وجود فعلى ودور عملي على ساحة الواقع المادى .

نعم لم يبق منها لانسان القرن العشرين إلا العناوين التي قد كبرت ، والشعارات التي قد تكثرت ، وقد استفاد من هذه وتلك قساة الصهبانية والشيوعيون وكل الطغاة والمستكبرين ، فأسسوا الجمعيات والأحزاب تحت تلك الشعارات وتلك العناوين لتحقيق أهدافهم الاستعلائية ونواياهم التسلطية ، ومارسوا الغلظة بدل اللطف ، والقسوة مكان الرأفة والشدة عوض الرفق . . وحرموا الانسان من حرية الفكرة وحرية الإرادة وحرية الاختيار ، تحت شعارات تحمل هذه العناوين لفظا لكنها خالية من المضمون واقعا .

إن رقى الأمم إنما هو بمقدار ما تمتلكه من قيم أخلاقية تفاضل من خلالها ، وتتنافس مع غيرها من أجل الحفاظ عليها وديمومتها منهجا للأجيال . ومن هنا أدرك الكثير من الأمم التي أوجدت لمجتمعاتها معايير مادية أخطار تلك المعايير في تفتيت وحدة المجتمع التي تضعها روح الإخاء بين أفرادها ، فأوصدت أبواب الألفة والتعاشيش على مائدة القيم

< صفحه ٨ >

الأخلاقية ، بعد أن أنمت فيهم روح الأثرة وحب الذات والتنافس على حطام زائل ، مما أدى إلى تفكك مجتمعاتهم تبعاً لتمزق شمل الأسرة وانفراط عقد المودة بين أفرادها ، فازدادت بذلك مشاكلهم ، واشتدت أزماتهم الاجتماعية والأخلاقية والنفسية .

ومن الواضح أنه لن تجد تلك الأمم الحل المناسب لجميع ما عصف بها من مشاكل على أثر مناهجها وسياساتها إلا في اقتباس خلق

الاسلام وآدابه وتعاليمه التي هي في الواقع الاستقامة بعينها ، والاعتدال بنفسه ، والوسط المقبول بين الافراط والتفريط ، لان القطب الوحيد الذي تدور حوله رحى التوازن الفذة في كل شئ في السياسة والاجتماع والأخلاق لا يستقر إلا على محور الاسلام ، ذلك المحور الذي ينتهي بمريديه إلى أقصى درجات الكمال الممكن للانسان في سموه ورفعته وعزته وكرامته الحقيقية .
وتوضيحا لمن غاب عنهم ما في دين الاسلام العظيم من كمالات لا نظير لها في دساتير العالم أجمع ولا قرين لها في الأديان السماوية الأخرى ، تنطلق من ضرورة تصميم الرحمة الهادية (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) تلك الرحمة التي بعث بها من هو على خلق عظيم بشهادة السماء ، لعلها تشق طريقها إلى النفوس الفاضلة فتروى ضمأها من عذب نمير الاسلام ، جاء هذا البحث . .
ولما كان المسلمون اليوم هم أحوج من غيرهم إلى التعرف على ذلك لذا كان الخطاب إلى غيرهم عرضا وإليهم ذاتا ، لعلهم يعرضوا تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم على مرآة الاسلام ومفاهيمه في كل وقت وحين
< صفحة ٩ >

ليشاهدوا مدى انطباقها أو افتراقها عن منهج الاسلام ، فيقوموا بذلك اعوجاجهم ويعمقوا استقامتهم على ضوء ما سيعرضه البحث من مفردات الرفق لما فيها من رسالة تكاملية هادفة إلى كل خير وصلاح .
ونحن في هذا المقتضب من الحديث عن الرفق - كفضيله سامية - نحاول إعطاء فكرة مبسطة عن واقعه وأهميته في المنظور الاسلامي ، وذلك من خلال بيانات بعض الآيات المباركة والأحاديث الشريفة ، ليتضح بجلاء دور الاسلام العزيز في تربية الانسان في كل عصر وزمان على الشفقة والرحمة والتعاشي المعنوي من أجل الحياة الحرة الكريمة على وجه هذه الأرض والسعادة الأبدية في عالم الخلود .
وليتبين البون الشاسع بين الحضارة المادية الجافة القاسية التي لا تذكي إلا الأنانية والجشع والغلظة والقسوة ، وبين الاسلام الذي ينمي روح التراحم والتواصل والايثار ، ويربي الانسان على مكارم الأخلاق ، ويحملة على المحبة والصلح والتفاهم وحرية الإرادة وحرية الاختيار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليتبين البون الشاسع بين الاسلام وبين غيره من الأديان السماوية كالمسيحية مثلا التي يتظاهر أتباعها بالدعوة إلى الصلح والصفاء بين أبناء البشرية في العالم . .
مبتدئين أولا ببيان معنى الرفق . .
< صفحة ١١ >

مدخل في تعريف الرفق

الرفق ضد العنف والشدة ، ويراد به اليسر في الأمور والسهولة في التوصل إليها ، وأصل الرفق في اللغة هو النفع ، ومنه قولهم : أرفق فلان فلانا إذا مكنه مما يرتفق به ، ورفيق الرجل : من ينتفع بصحبته ، ومرافق البيت : المواضيع التي ينتفع بها ، ونحو ذلك (١) .
ويقال : رفق - به ، وله ، وعليه - رفقا ، ومرفقا : لان له جانبه وحسن صنيعه (٢) .
والذي يعنينا من الرفق هنا ، هو ما يحمل لنا معاني اللين واللطف والسهولة واليسر ، لما لها من دور مهم في حياة المؤمن الرسالي ، وما يضطلع به من مهام وأدوار في حركته الواعية بين شرائح وعينات المجتمع بكل أشكالها ، وما لها من لبوس حسن جميل يدل على حسن وجمال سريرة المتلبس به ، واستقامة ذاته واعتدال تصرفاته ، إذ إن الرفق ليس مستهدفا للغير في مهمته وتأثيراته فحسب ، بل هو يبدأ من الذات ليشمل غيرها من الافراد والمجتمعات ، ويوصل إليها رسالة التكافل الاجتماعي بأبهى صورته .
وقد أكد الاسلام العزيز على هذه السجية الفاضلة والخصلة النبيلة

(٢) المعجم الوسيط (رفق) .

< صفحة ١٢ >

بيانات كثيرة ومتعددة الألفاظ ، داعيا أتباعه وحمله همومه وأهدافه إلى التحلى بها وتجسيدها فى أرض الواقع العملى لتؤدى إلى الأهداف المطلوبة والغايات المرغوبة .

وجدير ذكره أن الذى صنعه الاسلام على صعيد العنصر الأخلاقى بجميع أركانه ومظاهره ، كالصدق والأمانة والبر والاحسان والرفق والعمو والرحمة والسلام والحب وغير ذلك ، إنما هو على نحو التقرير والتنظيم والاحياء والانماء ، لا على نحو الفرض العلوى المتعالى على الطبيعة البشرية ، ذلك لان العنصر الأخلاقى عنصر فطرى ثابت فى الفطرة التى فطر الله عليها عباده ، ولا تبديل لخلق الله ، فمهما احتالت الافراد أو الشعوب فى زمن من الأزمان لأجل قلب القيم وتجاهل أصالتها فإنها لا تستطيع أن تدعو بوضوح إلى إشاعة الكذب والخيانة والخسة والدناءة ، حتى ولو كانت تمارس ذلك بالفعل ، وليس ذلك إلا لان للمبدأ الأخلاقى أصالة فى الفطرة .

< صفحة ١٣ >

الفصل الأول الرفق فى القرآن الكريم

[تمهيد]

حث القرآن الكريم على اعتماد الرفق خيارا مبدئيا فى نهج الدعوة إلى الاسلام ، واعتبره ركنا وأساسا مهما يقوم عليه صرح الهدى الرسالى للفكر والعقيدة الحقة التى دعى إليها جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، ولقد تعددت لغه الخطاب القرآنى لتمتلى بها كل الآفاق التى يمتد إليها الرفق فى معانيه الواسعة وغاياته البعيدة . . وسوف نصنف هنا الآيات الواردة فى الرفق بحسب مواردنا ، على النحو الآتى .

الآية الأولى : (اللين والعمو)

خاطب الله سبحانه نبيه الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قائلا : (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فإذا عزمت فتوكل على الله) (١) .

اللين فى المعاملة : الرفق :

(١) آل عمران ٣ : ١٥٩ .

< صفحة ١٤ >

أى أن لينك لهم مما يوجب دخولهم فى الدين ، لأنك تأتيهم مع سماحة أخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين (١) .

فلولا- هذا الرفق الذى اعتمده الرسول مع من أرسل إليهم لما تمكن من استقطاب الناس حول رسالته ، إذ إن الفضاضة والغلظة المناقضة للرفق واللين إذا ما اعتمدت خيارا منهجيا فى التبليغ والدعوة إلى الحق فإن مردودها سيكون عكسيا ، لا يثمر استقطاب الناس حول ذلك الحق وإن كان أبلجا . بل على العكس من ذلك ، سيعمل على التنفير وانفضاض الناس من ساحة ذلك القطب الهادى والمنار الواضح . فالناس فى حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . . فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا- يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا- يعينهم بهم ، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا .

وتعميقا لروح الرفق واللين التى يريد بها الله جل شأنه فى الدعوة إلى الحق ، جاء التأكيد فى نفس تلك الآية المباركة على ما يجسد حالة الرفق واللين العملى بين يدي المؤمنين ، فى جملة مكارم الأخلاق التى اهتم الاسلام بتحقيقها على النحو الأكمل وإشاعتها بين الناس ، فهى تأمر بالعفو لمن يسىء والغفران لمن يخطئ ، ليتجلى الرفق ويتمظهر اللين فى حركة التغيير والاصلاح على منهجية المبلغ الرسالى (فاعف عنهم واستغفر لهم) .

(١) مجمع البيان ٢ : ٨٦٩ .

< صفحه ١٥ >

ولمزيد من الرفق أمرت هذه الآية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - ومن يقتدى به من باب أولى - أن يشاور أولئك الذين صدر عنهم الفرار من الزحف وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الميدان مع نفر قلائل من أصحابه ، فقال عز وجل (وشاورهم فى الامر) وبعد ذلك يمضى ما يراه الأصوب فى ذلك (فإذا عزمت فتوكل على الله) والآية اذن تضرب على وتر الرفق بكل أبعاده لينشد أنغامه القدسيه فى هذه الحياه ، وليصنع الأثر الذى يريد الله تعالى فى درب التكامل البشرى من خلال رسالته الساميه .

ويحضى الامر باللين والرفق والرحمة فى هذا الموضع بالذات بوقع خاص يجلى أهميه هذه القيم على نحو قد يظهره موضع آخر . . إذ جاء ذلك على أثر مخالفة المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد ، تلك المخالفة التى أدت إلى أسوء النتائج إذ دهمهم العدو ، فلم يجدوا فى أنفسهم ثباتا ، فانقلبوا منهزمين يلوذون بالجبل ، وتركوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع نفر يسير من أصحابه ، حتى أثنخته الجراح وكسرت ربايعته وشج وجهه ، وهو صامد يدعوهم فلم يفيثوا إليه حتى انكشف العدو ، فلما رجعوا لم يعنفهم ولم يسمعهم كلمة ملامه ولا ذكرهم بأمره الذى خالفوه فتحملوا بخلافهم مسؤوليه كل ما وقع . . بل رحب بهم وكأن شيئا لم يكن ، وكلمهم برفق ولين ، وما هذا الرفق واللين إلا رحمة من الله بنبيه وعون له على رباطة الجأش . . وإذا مدح الله نبيه بكظم الغيظ والرفق بأصحابه على اساءتهم له ، فبالأولى أن يعفو الله ويصفح عن عباده المسيئين . . ثم بين سبحانه الحكمة من لين جانب نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بخطابه له : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وشمتم العدو بك وطمع فيك ولم يتم أمرك وتنتشر رسالتك . .

< صفحه ١٦ >

إن المقصود من بعثه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هداية الخلق إلى الحق ، وهم لا يستمعون إلا إلى قلب رحيم كبير كقلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى وسع الناس ، كل الناس ، وما ضاق بهل جاهل أو ضعف ضعيف (١) .

الآية الثانية : (خفض الجناح)

(واخفض جناحك للمؤمنين) (٢) وخفض الجناح كناية عن اللين والرفق والتواضع (٣) .

أى أذن لهم جانبك وارفق بهم ، والعرب تقول : فلان خافض الجناح إذا كان وقورا حليما . . والمعنى : تواضع للمؤمنين لكى يتبعك الناس فى دينك (٤) . والتعبير عن تلك المعانى بخفض الجناح تعبير تصويرى يمثل لطف الرعاية وحسن المعاملة ورقه الجانب فى صورة محسوسة على طريقة القرآن الفنيه فى التعبير .

وفى هذه الآية الكريمة تعبير آخر عن الرفق واللين واللطف واليسر ، التى يحرص القرآن المجيد على أن يتخلق بها حملته ومبلغه تعاليمه ، وقد خوطب بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الذى يشهد له القرآن بقوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم

(٥)) وقوله سبحانه : (لقد جاءكم رسول

.....

(١) التفسير الكاشف ٢ : ١٨٨ .

(٢) الحجر ١٥ : ٨٨ .

(٣) تفسير الرازى ٩ : ٢١١ .

(٤) مجمع البيان ٦ : ٤٤٧ .

(٥) القلم ٦٨ : ٤ .

< صفحه ١٧ >

من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (١) . وهو الذى يقول لأصحابه إن أحبكم إلى يوم القيامة وأقربكم مجلسا أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون (٢) - فإذا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد خوطب بمثل هذا الخطاب (واخضع جناحك للمؤمنين) فمن باب أولى ان يقتدى المؤمن الرسالى بتلك الأخلاق العالیه والتحلّى بها ، تجسيدا لقوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) (٣) .

وخفض الجناح فى الآية المباركة وأن كان كناية عن التواضع والرفق واللين ، إلا أنه ينطوى على معانى أخرى رفيعة تتدفق بالمودة والرفقة والتسامح ونظائر ذلك من مكارم الأخلاق التى لو وجدت طريقها فى نفوس المؤمنين وغرست فى قلوبهم لمارسوا عملية الانفتاح على الآخرين بأتم وجه ، واقتطفوا ثمار سعيهم فى إعلاء كلمة الحق ، برد الفعل المناسب من الانفتاح عليهم وقبول طرحهم . وفى السياق ذاته يتقدم هذا الخطاب الجميل خطاب آخر ، له جرس آخر ووقع آخر ، ذلك قوله تعالى : (فاصفح الصفح الجميل) (٤) . وهو العفو من غير عتاب (٥) !

.....

(١) التوبة ٩ : ١٢٨ .

(٢) التفسير المبين : ٢٩٢ .

(٣) الأحزاب ٣٣ : ٢١ .

(٤) الحجر ١٥ : ٨٥ .

(٥) مجمع البيان ٦ : ٥٣٠ .

وبعد .. فالقرآن الكريم أراد لنا عبور كل ذلك مع المؤمنين إلى بلوغ صفة التذلل لهم (أدله على المؤمنين أعزّه على الكافرين) (١) ، ومن هنا يعلم أن خفض الجناح يستلزم تلك الصفة الراقية التى يستشعر المؤمن من خلالها كرامته ، وتقوى بذلك شخصيته ، ولا ريب أنه لا يغفل المؤمن سر التذلل له ، ويدرك جيدا أنه وليد التزام الطرف الآخر برسالته لا خوفا ولا طمعا ، وعندها سيندفع الطرف الآخر إلى نفس المبادرة ، فتتم المعادلة ، ويتحقق التوازن فى بناء شخصية المؤمن الرسالى على أتم وجه .

لكن ذلك إنما هو وقف على المؤمنين المخلصين والطيبين المتواضعين ، فالتواضع لهؤلاء إنما هو تواضع لله ، وعلى العكس من ذلك يكون الموقف إزاء الخونة والمفسدين والمنافقين والمتكبرين ، فالتكبر عليهم عبادة ، بل جهاد فى سبيل الله (٢) .

الآية الثالثة : (عباد الرحمن)

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (٣) الرحمن ربنا سبحانه يعرف عباده بجمله من الآيات المباركات فى نهاية سورة الفرقان ، ويتبدى ذلك بهاتين الصفتين المذكورتين فى الآية المتقدمة .

الصفة الأولى : هى السير على الأرض هونا أى بسكينه ووقار ،

(١) المائدة ٥ : ٥٤ .

(٢) انظر التفسير الكاشف ٤ : ٤٩٠ .

(٣) الفرقان ٢٥ : ٦٣ .

< صفحه ١٩ >

بلا استعلاء وخيلاء .

الهُون ، مصدر هان عليه الشىء يهون ، أى : خف ، وهذا يعنى أن مشيهم على الأرض مشية مرفق بها لا يثير غبارها ، لسهولة التعامل معها واللين فى تماسها ، وخفة الروح عليها . ومن كانت هذه صفته مع الأرض التى يطأها فهو مع ساكنيها - من بنى جنسه - أهون فى تعامله وأرق فى معاشرته وأخف فى روحه .

وبهذه الكلمات يرسم القرآن صورة المؤمن الحق ظاهرة وباطنة فالمشيه ككل حركة تعبير عن الشخصية وعما يستكن فيها من مشاعر ، والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة تخلع صفاتها هذه على مشيه صاحبها .

وليس معنى (يمشون على الأرض هونا) أنهم يمشون متموتين منكسى الرؤوس متداعى الأركان متهاوى البنيان ، كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح !

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا مشى تكفأ تكفأ وكان أسرع الناس مشيه وأحسنها وأسكنها . . قال الإمام على بن أبى طالب عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صلب (١) وهى مشيه أولى العزم والهمة والشجاعة .

وأما الصفة الثانية : فهى (إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فهم لا يمارون الجاهل ولا يقارعونه بالحجة تلو الحجة التى لا يستطيع هضمها وفهمها ، بل يرفقون به ويقدرن مبلغ علمه ومستوى جهله ويرأفون بحاله

.....

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٢٢١ .

< صفحه ٢٠ >

ولا يسمعون ما يثقل عليه من كلمات تجرح شعوره مما هى فيه وهو أهلها ويستحقها لغروره وتبلد ذهنه إذ وضع نفسه الوضيعه فى غير موضعها ، بل راح يتعالى عليهم بمخاطبتهم . وهذا يعنى : أن الجاهل يبلغ به عجبته بنفسه وعلمه بأن يرى الآخرين - وإن كانوا علماء - هم دونه فى المستوى ، وعند ذلك تسمح له تصوراته المغرورة هذه فى تنصيب نفسه خطييا عليهم ، له أن يتكلم وعليهم أن يسمعوا . نعم ، فإذا كانت هذه حقيقة ماثلة فى أغلب النفوس ، وهى كذلك ، فلماذا لا يرفق العالم بالجاهل ، والأعلم بالمتعلم ، ويقول له : سلاما ، فى المواضع التى يتناول فيها الجاهل ، ويترك للزمن إقناعه ، وللمراحل التى يلزم طيها حتى يبلغ الفهم ويبلغ التواضع للحقيقة التى يراد له الوصول إلى فهمها وبلوغها ؟

الرحمانيون :

فمن لم يتلطف ويرأف بهذه النفوس المريضة بداء الجهل والغرور ، ولم يداوها بدواء الرفق والسماحة فليس هو بالحكيم الذى يضع الأمور فى محلها ، كما هو ليس أهلا بأن ينسب إلى الرحمن بالعبودية (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (١)

والملاحظ فى هذه الآية الكريمة أنها أتت باسم وصفة الرحمن فى هذا المجال ، هذا يعنى أن المنسوين إلى الله (الرحمن) بالعبودية

يجب

(١) الفرقان ٢٥ : ٦٣ .

< صفحة ٢١ >

أن يتخلقوا بأخلاقه ، فيكونون رحمانيين ورحماء ، وإلا فليس حريا أن ينسبوا إليه مع تجافيتهم وتباعدهم عن الرفق والرحمة .
والرحمانيون من النمط الأول تجلت وتجسدت بهم الرحمة المطلوبة في حياتهم الرسالية بكل وضوح ، وهم الأنبياء والأوصياء
والصلحاء ، والآيات في ذلك كثيرة ، إذ إنهم مأمورون بمكارم الأخلاق .

الآية الرابعة : (هجرا جميلا)

(واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) (١) .

الهجر الجميل : أن لا- تتعرض لخصمك بشئ ، وإن تعرض لك تجاهلت (٢) . أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية
المباركة بالصبر - الذي منه كظم الغيظ - على ما يسمعه من الأقوال البذيئة التي لا تليق ومقام النبوة الشامخ ، صبرا لا عتاب فيه على
أحد ، ولا اعتزاز بالشخصية ، أو دفاع عن الذات ، بل تركهم إلى الله سبحانه ، مع الهجر الجميل الذي لا يترك في نفوسهم شيئا من
وخز الضمير ما داموا لم يقابلوا بالمثل ، بل بالهجر الجميل الذي لم يترك في نفوسهم اشمئزازا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم
يزرع فيهم ما يحول بينهم وبينه صلى الله عليه وآله وسلم مستقبلا فلا- يقبلوا عليه ولا- يسمعوها هديه ، بل كان هجرا جميلا لم يقطع
خيوط المودة ولم يهدم جسور التواصل التي تمر من خلالها رسالة السماء التي تنشد لأولئك التكامل وسعادة الدارين .

(١) المزمّل ٧٣ : ١٠ .

(٢) التفسير الكاشف ٧ : ٤٤٩ .

< صفحة ٢٢ >

والملاحظ في هذه الآية المباركة أن الله سبحانه استخدم لفظه الهجر ولم يستخدم مكانها لفظه الترك ، ولعل الامر يعود إلى أن
الترك يعنى التخلي تماما عنهم ، بينما الهجر يحمل معه معنى إمكانية الرجوع إليهم والتبليغ فيهم مرة ثانية ، ولأجل هذه الاحتمالية
يلزم أن يكون الهجر جميلا- ، لأنهم في حاجة إلى المعاودة والنصح والارشاد الذي لا يتحقق مع تواصل الهجر المستمر بلا انقطاع .
ومن هنا يعلم أن رحمة الله عز وجل لا يمكن تصور حدودها ، فهي شملت حتى من يسىء إلى مقام الرسل والأنبياء ، أملا أن يصلحوا
في مستقبل أيامهم ويعودوا إلى حضيرة الاسلام لينهلوا من آدابه ويتخلقوا بمكارم أخلاقه .
ولا- يخفى ما في ذلك من عبرة عظيمة ، وموعظة جليّة ، إذ يمكن للمسلم الرسالي أن يستثمر الصبر على الأذى والهجر الجميل ،
ليحصد ما يحمد عقباه .

الآية الخامسة : (ادفع بالتى هي أحسن)

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (١) في هذه الآية المباركة يتبين
لنا حكم الله جل جلاله في المجالين : التكويني والتشريعي ، عند التفريق بين الحسن والحسنة من جهة ، والسئ والسيئة من جهة أخرى
، إذ إن إرادته سبحانه شاءت أن تكون الطبيعة ويكون العقل شاهدين على التفاوت بين الاثنين ، وإلا كان الحسن والقبیح على حد
سواء ، والمحسن والمسى بمنزلة واحدة ، وواقع الحال ليس كذلك ، إذ عدم التساوى بين الحسنة والسيئة

.....

(١) فصلت ٤١ : ٣٤ .

< صفحة ٢٣ >

مسلم عند سائر العقلاء ، ومقرر في جميع الشرائع بلا خلاف .

ولا- يخفى بأن الإساءة للآخرين لها آثارها السلبية في تحقيق التكافل والتعاون ، وإثارة البغضاء والعداوة ، لذا كان الامر بدفعها من أقصر الطرق وأوضحها فائدة ، وأكثرها عائده ، وذلك بان تقابل بالاحسان ، إذ الانسان مجبول على حب وتقدير من أحسن إليه . وقد حملت لنا هذه الآية التوجيه الفذ الذي يمكن من خلاله الوصول إلى هذه الغاية السامية ، وذلك بعقد مبدأ الرفق واللطف في عملية التدافع بين الحسن والأحسن فلا- يقدم الحسن على الأ-حسن ، ولا الفاضل على الأفضل ، أو المهم على الأهم . وهذه قاعدة عقلائية تستدوقها النفوس وترضاها الطباع وتدعو إليها الفطرة ، وأمر بها الشرع - كما عرفت - بقوله : (ادفع بالتي هي أحسن) . الآية تقول : فرق بعيد بين عملك يا محمد وأنت تدعو إلى الله وتحمل الأذى في سبيله صابرا محتسبا وبين عمل الذين أجابوا دعوتك بالاعراض والأذى والافتراء ..

إن عملك صلوات وحسنات ، وعملهم سيئات ولعنات .. وعلى الرغم من ذلك فعليك ان ترفق بهم وتتسامح معهم وتصبر على سفاهتهم ، فإن منهم من لو قابلته بهذه السماحة لعاد إلى ربه وعقله ، وانقلبت عداوته لك إلى محبة ، وبغضه إلى مودة (١) . كأنه ولي حميم :

ثم أن الآية - من أجل إرساء هذه الدعامة المهمة في آثارها

(١) التفسير الكاشف ٦ : ٤٩٢ .

< صفحة ٢٤ >

والموضوعية في واقعها - أسست بناء مهدبا للنفوس يقوم على هذه الحقيقة المتينة في حكمتها ، اللطيفة في رقتها ، الرحيمة في هدفيتها فقالت : (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (١) أي اصبر على الأذى ، واكظم الغيظ الذي تبلى به ، واحلم عمن أساء إليك ، وتعامل مع مصدر اتعابك وشائريك تعامل الرؤوف الرحيم العطوف الكريم برفق ولطف يمس قلوبهم القاسية فيحولها من قسوتها وجفوتها عليك إلى تعاطفها وتجاذبها إليك ، ومن غفوتها ونومتها التي هي عليها ، إلى اليقظة والصحوه التي أنت فيها . فهي تأمرنا باعتماد منهجية الرفق مع أعداءنا إلى الحد الذي يجلى الفرد الواحد منا أمام أعداء دعوته (كأنه ولي حميم) فيستقطب مجامع قلوبهم إليه حتى تصير اذان صاغية لهديه وارشاده فيستنقذها من ضلالها وجهالتها إلى الهدى والنور الذي هو عليه والدين والفكر الذي يدعو إليه .

ثم أن الدفع بالتي هي أحسن والتحلى بالرفق قبال الذي بينك وبينه عداوة حتى تبدو له كأنك ولي حميم ، ليست قضية تخص البعد التبليغي فحسب دون المجالات الحياتية الأخرى ، سياسية أو اجتماعية أو سلوكية عامة . فكل هذه المساحات وغيرها هي ليست في غنى عن هذا المبدأ الأخلاقي القويم الذي يبلور الشخصية الرصينة في حركتها الفردية والاجتماعية ، ويكشف عن سماحتها وعلو همتها وعظم قدرها .

وكم صدقت هذه القاعدة على حالات كانت في منتهى التوتر ، وشيكة أن تقود إلى سفك دماء كثيرة بغير حق ، فإذا الهياج ينقلب إلى سكون ، ويعود الزمام المنفلت إلى محله ، ذلك حين قوبل الغضب المجنون

.....

(١) فصلت ٤١ : ٣٤ .

< صفحة ٢٥ >

بنبرات هادئة من نفس مطمئنة! وبالعكس تصنع الكلمة الأخرى، فينقلب السكون غضبا مجنونا، وينفلت الزمام..
المؤرخ الفيلسوف أبو علي مسكويه ينقل في (تجارب الأمم) بالتفصيل الحوار الخطير الذي أداره الامام أمير المؤمنين عليه السلام مع الزبير بن العوام قبل نشوب معركة الجمل، إذ دعاه فالتقيا بين الصفيين فقال له: (يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني غنم فنظر إلي وضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه! فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

مه! إنه ليس كذلك، ولتقاتلنه وأنت له ظالم؟

قال الزبير: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبدا. فانصرف علي عليه السلام وحكى ذلك لأصحابه، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن مذعقت إلا وأنا أعرف فيه أمرى، غير موطنى هذا!
قالت: ما تريد أن تصنع؟
قال: أريد أن أدعهم وأذهب.

قال له ابنه عبد الله: جمعت هذين الفارين حتى إذا جرد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؟! أحسست رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها بأيدي فتية أنجاد!!
فغضب الزبير حتى أردد، ثم قال: ويحك، إنى قد حلفت ألا أقاتله!
قال: كفر عنيمينك!!
<صفحة ٢٦>

فدعا غلاما له يقال له مكحول فأعتقه.

فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي: لم أر كاليوم أخوا إخوان*** * أعجب من مكفر الايمان بالعتق في معصية الرحمن قال مسكويه: وإنما حكينا هذه الحكاية لان فيها تجربة تستفاد، وإن ذهب ذلك عن قوم فإننا ننبه عليه، وذلك أن المحقق ربما سكن بالكلام الصحيح، والساكن ربما أحق بالزور من الكلام (١).

غير أن تلك السماح لا تؤتى أثرها إلا وهي صادرة مع القدرة على الرد، وإلا انقلبت في نفس المسئ ضعفا وذلا، فلا يبقى عندئذ للحسنه أثر على الاطلاق. كما أن هذه السماح لا تتعدى حالات الإساءة الشخصية، أما العدوان على العقيدة أو على العرض والمال فلا يقابل إلا- بمثله، فالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان يحسن إلى من أساء إليه فوضع الأذى في طريقه أو أسمعته غليظ الكلام ونحو ذلك، ويعفو ويصفح، هو نفسه القائل حين يكون العدوان على العقيدة: والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه (٢).

.....

(١) تجارب الأمم ١: ٣٢٢. ونص الحوار الذى دار بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين الزبير ثابت لدى سائر المؤرخين، فانظر: الكامل فى التاريخ ٢: ٣٣٥.
(٢) تاريخ الطبرى ١: ٥٤٥.
<صفحة ٢٧>

ولا شك أن الوصول لمثل هذا أمر متعسر على الجميع ولا يحلق فى سماء فضيلته إلا الكمل من الناس وبدرجات متفاوتة هي على قدر هممة الساعين إليه ذو حظ عظيم:

ولأجل هذه الحقيقة القائمة بين الناس نرى الآية القرآنية المباركة التى تلتها تصرح بهذا الامر. إذ تقول (وما يلحقها إلا الذين صبروا وما يلحقها إلا ذو حظ عظيم) (١) فهى تعلن أن مبدأ الرفق والبلوغ من خلاله إلى درجة الدفع بالتي هي أحسن حتى يصير كأنه ولى

حميم ، أمر يلىق بالعينات السائرة فى درب التكامل ، وقد استحقت الدخول فى زمرة الذين صبروا وطبيعى أن هذه الزمرة هى من ذوات الحظ العظيم أى من ذوات الرأى السديد ، والعقل الراجح ، والرعاية الخاصة ، والنصيب الأوفر فى مجال الفيوضات الربانية بما يستحقونه على صبرهم وتحملهم فى سبيل الله ، وبما لهم من حظ وافر فى مكارم الأخلاق وفواضل السجايا .

فهنيئاً للصابرين منا فى درب الاسلام العزيز (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (٢) (. . . وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٣) .

فى حديث قدسى شريف - يسنده الإمام الصادق عليه السلام إلى رسول

.....

(١) فصلت ٤١ : ٣٥ .

(٢) النحل ١٦ : ٤٢ .

(٣) البقرة ٢ : ١٥٥ - ١٥٧ .

< صفحہ ٢٨ >

الله صلى الله عليه وآله وسلم - قال الله تعالى : إني جعلت الدنيا بين عبادى قرضا ، فمن أقرضنى منها قرضا أعطيته بكل واحدة عشرة إلى سبع مئة ضعف وما شئت من ذلك ، فمن لم يقرضنى قرضا فأخذت منه شيئاً قسراً فصبر أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتى لرضوا بها منى .

قال الإمام الصادق عليه السلام : قوله تعالى : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم) فهذه واحدة من ثلاث خصال ، (ورحمة) اثنان ، (وأولئك هم المهتدون) ثلاث . . هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً فصبر (١) .

هذه الصلوات والرحمة عليهم فى الدنيا تصنع فيهم الشخصية الفذة وتمنحهم العزيمة الصامدة (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (٢) .

فالعفوان - وهو مفردة من المفردات التى يقوم عليها مبدأ الرفق - هو من أعلى الأعمال شرفاً وأكثرها ثباتاً ، وإنه لكاشف قطعاً عن همم عالية وعقول راجحة ومروءة صادقة ، يلازمها على الدوام ترفع على تتبع عثرات الآخرين ، وبهذا يكسب ودهم ويسمو عليهم لسمو روحه عن دوافع الثأر للذات والتذبذب فى حضيض (الأنا) .

هذه بعض الآيات المحكمات التى يمكن الاستفادة منها والاستضاءة بأنوارها والاهتداء بها فى موضوع الرفق تفياناً تحت ظلالها الوارفة فى وقتنا القصيرة هذه ، والمتأمل فى آيات الذكر الحكيم يجد غيرها من الآيات البينات التى تدعو إلى الرفق واللين واللطف والرافة فى حركة الفرد والمجتمع .

(١) تفسير البرهان ١ : ٣٥٩ - ٣٦٠ تحقيق مؤسسة البعثة - ط ١ - ١٤١٥ هـ .

(٢) الشورى ٤٢ : ٤٣ .

< صفحہ ٢٩ >

رفق الفصل الثانى الرفق فى السنة المطهرة

[تمهيد]

جاء في كثير من الأحاديث الشريفة الحث على الرفق والدعوة إليه وبيان أهميته وتحديد أبعاده وتشخيص ثمراته ، ولا بأس بالوقوف على ضفاف شواطئ تلك الأحاديث ، لنغترف من عذب مائها الرقاق في زمن الضمأ ، حيث الأفكار المادية العكرة وما نصبته لهذا الانسان من كؤوس مره المذاق لا تروى الغلة ولا تشفى العلة .

النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمدح الرفق :

لقد مدح النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الرفق بأحاديث كثيرة نذكر بعضها منها :

١ - الرفق يمن والخرق شؤم :

قال صلى الله عليه وآله وسلم : الرفق يمن والخرق شؤم (١) .

وهذا الحديث يصف الرفق باليمن ، أى : البركة ، لما له من دور حيوى

.....

(١) الكافي ٢ : ١١٩ / ٤ باب الرفق . إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٥ . والخرق : الجهل والحمق .

< صفحہ ٣٠ >

فى شد أزر الناس بعضهم إلى البعض الآخر من خلال ما يزرعه فى نفوسهم من المحبة والصفاء ، حتى يعودوا مباركين فى تصرفاتهم ، فيعم اليمن ساحتهم وتتغشاهم بركات السماء .

٢ - الرفق جمال :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الرفق لم يوضع على شئ إلا زانه ، ولا

نزع من شئ إلا شانه (١) .

وهذا الحديث يحكى جمالية الرفق فى أنه لبوس حسن ، يزين مرتديه ، فمن تخلق بالرفق فإن الرفق سيزينه ويزيده جمالا ووقارا وهيبه ، فلا يلتفت الآخرون إلى ما هو عليه من عيوب ونقاط ضعف لا ينجو منها عادة إلا الكمل من الناس ، وعلى العكس من ذلك فلو أن إنسانا يستجمع من المزايا الحميدة الشئ الكثير غير أنه لا يتخلق بالرفق فى تصرفاته ، فإن مثل هذا الانسان سرعان ما ينفر الناس منه لما للرفق من دور مهم فى الكشف عن الأخلاق العمليّة التى يتفاعل معها الآخرون .

٣ - جمال ماهية الرفق وحسن جوهره :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : لو كان الرفق خلقا يرى ما كان مما خلق الله

عز وجل شئ أحسن منه (٢) .

ويبين لنا هذا الحديث جمال ماهية الرفق وحسن جوهره الباهر ،

.....

(١) الكافي ٢ : ١١٩ / ٦ باب الرفق . وقريب منه فى إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٥ .

(٢) الكافي ٢ : ١٢٠ / ١٣ باب الرفق .

< صفحہ ٣١ >

فهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لو كان الرفق خلقا يرى ، أى : لو أن لحقيقة الرفق صورة مجسدة تظهر للعيان وتمثل للانسان ما كان مما خلق الله عز وجل شئ أحسن منه فهو يفوقها حسنا وجمالا ، وبهذا الطرح الافتراضى والتصويرى يبين لنا صلى الله عليه وآله

وسلم ما للرفق من جماليه فى حقل الأخلاق وكيانها التكاملى الشامخ .

٤- الرفق خير :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة (١) .
وفى هذا الحديث إخبار عن الصادق الأمين بأن من يرزق الرفق يرزق الخير كله . وهذا يعنى أن الذى يزداد رفقا ، يزداد من خير الدنيا والآخرة ، وعلى العكس سيكون حال الآخر الذى حرم حظه من العقل والوقار ، وصرعته الأنا ، فاستبدل أناة بالحكم ، وجهلا بالحلم ، فزرع لدنياه وآخرته ما يسوءه حصاده ، وتطيل ندامته عقباه . .

٥- الرفق نصف المعيشة :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : التودد إلى الناس نصف العقل والرفق نصف المعيشة ، وما عال امرؤ فى اقتصاد (٢) .
وبهذا التشخيص الدقيق فى بعده الاجتماعى تتوضح أهمية الانفتاح

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ٦ : ٢٢٩ . إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٥ .

(٢) بحار الأنوار ٧١ : ٢٤٩ .

< صفحہ ٣٢ >

على الآخرين ، ومداراة عقولهم ، والانسجام معهم من خلال الرفق بهم دون الغلظة عليهم ، ويعتبر ذلك الرفق معادلا لنصف الجهد الذى يبذله الانسان فى دائرة عمله الاقتصادى بين أفراد المجتمع ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم بهذا يعطى أهمية فائقة للأخلاق فى المجال الاجتماعى والاقتصادى اللذين لا ينفكان عن تلازمهما فى تسيير عجلة الحياة المعاشية للفرد والأمة ، ولأجل هذه الحقيقة الحيوية جاء قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الفقرة الأخيرة وما عال امرؤ فى اقتصاد .

٦- الرفق كرم :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الرفق كرم ، والحلم زين ، والصبر خير مركب (١) .
بهذا الوصف النبوى الشريف يكون المتخلق بالرفق كريما موقعه بين الناس ، يلزمهم تبجيله وتعظيمه على سجيته هذه . وبهذا الاحترام تتوسع دائرة الرفق بينهم لما للقدوة من أثر فى تعميق المفهوم ، واستحقاقه لهذا التجليل جاء من تكرمه وترفعه عن متابعة الآخرين فى هفواتهم وزلاتهم .

٧- الرفق وزير الحلم :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم وزير الايمان العلم ، ونعم وزير العلم الحلم ، ونعم وزير الحلم الرفق ، ونعم وزير الرفق اللين (٢) .

استوزر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم العلم للايمان ، الحلم للعلم ، الرفق للحلم

(١) بحار الأنوار ٦٩ : ٤١٤ .

(٢) بحار الأنوار ٧٥ : ٥٢ .

﴿ صفحه ٣٣ ﴾

واللين للرفق ، وبهذه المنظومة المباركة بين لنا التماسك الحيوى بين الايمان والعلم والأخلاق ، فمن أراد الايمان فعليه بالعلم ، ومن أراد العلم الذى يفضى إلى الايمان فعليه أن يتزين بالحلم الذى يجعل من العلم علما هادفا نحو التكامل لا العلم الذى يرافقه الغرور والعجب والتكبر ، ومن أراد إيمانا يستند إلى العلم النافع والمستورز بالحلم فما عليه إلا- التخلق بالرفق الكاشف عن واقعية الحلم وحقيقته .

الرفق الذى يتضمن : السماحة واللطف والانفتاح والتواضع وتكليم الناس على قدر عقولهم والتجاوز عن سيئاتهم والترفع من متابعتها هفواتهم ، رفقا يتجلى فيه اللين وتمحي من ساحتها الغلظة ، فلا خشونة عند التعامل ولا جفوة بعد التخاصم ، ولا طغيان عند البغى ، هكذا يريدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أبعادنا العلمية والايمانية والأخلاقية ، وهكذا كان هو - روى له الفدى - مجسدا لأخلاق القرآن ، وسنته العملية هى التعبير الأدق لكل ذلك الخلق النبوى العظيم ، ولأجل هذه الحقيقة الناصعة والمحجبة البيضاء عرفه ربه سبحانه وتعالى بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

٨ - الله رفيق يحب الرفق :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه (١) .

وفى حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق فى الامر

.....

(١) الكافى ٢ : ١١٩ / ٥ باب الرفق . إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٥ .

﴿ صفحه ٣٤ ﴾

كله (١) .

فالله جل جلاله رفيق ، والرفق خلقه ، إذ هو اللطيف بعباده والرحمن بخلقه والرحيم بالمؤمنين ، يرأف ويتحنن ويعفو ويسامح ويغفر ويتوب ، بر كريم ، ودود حلیم ، وهو - جل ثناؤه - يحب لنا أن نتخلق بأخلاقه حتى نغدوا ربانيين بأخلاقنا ، فربنا الصادق يحب لنا أن نكون صادقين ، وربنا المحسن يحب لنا أن نكون محسنين ، وربنا الرفيق يحب لنا أن نكون رفقاء . ولا شك أنه يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف .

٩ - الله يعين على الرفق :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله يحب الرفق ويعين عليه (٢) . فى هذا الحديث المبارك يبين لنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن الله مع كونه يحب الرفق ، فهو سبحانه يعين عليه ، فمن أراد التخلق بالرفق وسعى لاكتساب هذه الفضيلة فإن المد الإلهى يقبل عليه ويقوى فيه هذه العزيمة ، وهذا كقوله تعالى : (إنهم فتيئة آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (٣) فبعد أن أقبلوا على الايمان زادهم الله هدى ، فكذا الحال فى اكتساب سجية الرفق ، فإن الله يعين الساعين إليها بأن يسهل لهم سبل الوصول إلى بغيتهم التكاملية هذه فإذا وجدنا أنفسنا غير متخلقين بهذه السجية الفاضلة فإن العيب فىنا ،

.....

(١) كنز العمال : خبر ٥٣٧٠ .

(٢) الكافى ٢ : ١٢٠ / ١٢ باب الرفق .

(٣) الكهف ١٨ : ١٣ .

< صفحه ٣٥ >

إذ لم نسع نحوها حتى تقبل هى إلينا .

١٠ - الرفق رأس الحكمة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الرفق رأس الحكمة ، اللهم من ولى شيئاً من أمور أمتى فرفق بهم ، فارفق به ، ومن شقق عليهم فاشقق عليه (١) .

الحكمة كما لا يخفى هى وضع الشىء فى محله ، ولما كان الرفق هو من محامد الصفات التى يتصف بها الخالق المتعال وأنبياءه الكرام وذوى الحجى والألباب ، وبه يعالجون سقم الناس ، فهو الدواء المحكمه مراهمه ، والبلسم الناجح شفاؤه ، ينفع مع الفرد فى تطيبه وتهذيبه ، ومع الأمة فى تدبير أمرها وسوسها .

فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن يعرف الرفق بأنه رأس الحكمة ، يتوجه إلى ربه بالدعاء بالرفق لمن يرفق بمن ولى عليه ، وبالمشقة على من يشق عليهم ، ولا شك أن دعوة المصطفى حبيب الله هى دعوة مستجابة حتماً ، وهى فى الوقت نفسه كشف عن قانون وإرادة سماوية فى المكافأة والمجازاة على الأفعال .

١١ - أفضل الصاحبين :

الصحة فى الله عمل ممدوح ، باركه الاسلام كثيرا ، وحث عليه ، وبشر أهله بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة ، لكن بين المتصاحبين فى الله تفاضل ، فأحدهما أرفع منزلة وأعظم أجرا من أخيه ، فبأى مزية نال هذا

.....

(١) بحار الأنوار ٧٥ : ٣٥٢ .

< صفحه ٣٦ >

التفضيل ؟

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكشف لنا عن سر هذه المفاضلة ، فيقول : ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجرا وأحبهما إلى الله عز وجل : أرفقهما بصاحبه (١) .

الرفق إذن هو الذى رفع أحد الصاحبين على أخيه درجة ، وشرفه بمنزلة من حب الله أعلى .

١٢ - الزيادة والبركة :

إن الله تعالى ليجازى عباده على مكارم الأخلاق فى الدنيا فيريهم ثمراتها ، كما يدخر لهم ليوم لقائه ما هو أنمى وأبقى ، فما الذى يراه المتحلى بالرفق فى دنياه ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن فى الرفق الزيادة والبركة ، ومن يحرم الرفق يحرم الخير (٢)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما زوى الرفق عن أهل بيت إلا زوى عنهم الخير (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من كان رفيقا فى أمره نال ما يريد من الناس (٤) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم فى الرزق ، والرفق فى تقدير المعيشة خير من السعة فى المال ،

(١) الكافى ٢ : ١٢٠ / ١٥ باب الرفق .

(٢) الكافى ٢ : ١١٩ / ٧ باب الرفق .

(٣) الكافى ٢ : ١١٩ / ٨ باب الرفق .

(٤) الكافى ٢ : ١٢٠ / ١٦ باب الرفق .

< صفحه ٣٧ >

والرفق لا يعجز عنه شئ والتبذير لا يبقى معه شئ ، إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق (١) .

١٣ - الرفق سور الايمان :

عن هشام بن أحمر ، قال : جرى بينى وبين رجل من القوم كلام ، فقال لى أبو الحسن عليه السلام : ارفق بهم ، فإن كفر أحدهم فى غضبه ، ولا خير فى من كان كفره فى غضبه (٢) .

وفى كلام بعض الصالحين : ما تكلم الناس بكلمة صعبة ، إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها (٣) .

الرفق فى حقوق المؤمنين :

ركز الاسلام كثيرا عنايته بحقوق المؤمنين بعضهم على بعض ، حفظا لكرامة الانسان المؤمن ، وصيانة للمجتمع ورضا لصفوفه ، قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (٤) .

والرفق واحد من تلك الحقوق التى ينبغى حفظها ، وفى (رسالة الحقوق) التى أفاض بها الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام أكمل دستور يتناول شعب الحقوق وجوانبها وألوانها ، وفيها تجد للرفق حظه المبرز وهو يوزعه على أولى الفئات التى ينبغى أن يحفظ لها حقها فيه ،

.....

(١) الكافى ٢ : ١١٩ / ٩ باب الرفق .

(٢) الكافى ٢ : ١١٩ - ١٢٠ / ١٠ باب الرفق .

(٣) إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٦ .

(٤) التوبة ٩ : ٧١ .

ومنها :

المسلمون عامة :

قال عليه السلام : وحق أهل ملتك : إضمار السلامة ، والرحمة لهم ، والرفق بمسيئتهم ، وتألفهم ، واستصلاحهم ، وشكر محسنهم ، وكف الأذى عنهم (١) .

المستنصح :

وقال عليه السلام : وحق المستنصح : أن تؤدى إليه النصيحة ، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به (٢) .

الزوجة :

وقال عليه السلام : حق الزوجة : أن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكنا وأنسا وتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك ، فتكرمها ، وترفق بها ، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك ، وتطعمها وتسقيها وتكسوها ، وإذا جهلت عفوت عنها (١)

(٣) .

وفى الزوجه جاءت وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم : رفقاً بالقوارير (٤) .
الصغير :

وقال عليه السلام : وحق الصغير : رحمته فى تعليمه ، والعفو عنه ، والستر عليه ،

(١) شرح رساله الحقوق ، للسيد حسن القبانجى ٢ : ٥٤١ .

(٢) رساله الحقوق ٢ : ٣٨٧ حق المستنصح .

(٣) المصدر السابق ١ : ٥١٧ حق الزوجه .

(٤) مسند الحميدى : ١٢٠٩ .

< صفحه ٣٩ >

والرفق به ، والمعونه له (١) .

وهكذا يزين الرفق أخلاق المرء وحياته ، بل أخلاق المجتمع كله ، ليسهم مع أخوانه من مكارم الأخلاق فى بناء انسان متكامل ومجتمع متين متجانس يسوده الائتلاف والوئام ، وتتجذر فيه كل عناصر الصحة والقوة والصلاح .

١٥ - الرفق بالحيوان :

الرفق مع الاقتدار ، مبدأ ، وليس وسيلة لتحقيق غاية آنية أو مرحلية ، من هنا فليس هناك حد زمنى بين الرفق وضده ، بل قد يكون هناك حد تفرضه طبيعة سلوك الطرف الآخر المقصود بالرفق ، طبيعة سلوكه وليس ذاته . فالتحول مع الطفل من الرفق الظاهر إلى التأديب اللازم أمر يفرضه سلوك الطفل لا ذات الطفولة التى كنا قبل صدور هذا السلوك نتعامل معها بالرفق كله . وكذا فالذات الانسانية أيضا لا تحتكر الرفق لنفسها ، بل تشاركها فيه كل ذوات الأرواح ، وحتى النبات ، وربما الجمادات الميته أيضا ، فربما رأيت صبيا يعبث بالحصى بكل عنف ، يهشم ويحطم ، فأخذتك على هذه الحصى شفقة ، أو أثار فيك المنظر اشمزازا . وهذا شأن الخلق حين يكون متأصلا فى الفطرة ، فكيف بك وأنت ترى معتوها يبطش ببيهمة ضعيفة لا تملك الدفاع عن نفسها ولا حيلة لها بالفرار من بين يديه ، إلا أنها تصرخ وتجار بكل ما تحسبه يرقق القلوب ويستدر العواطف عليها من صوت ؟

.....

(١) رساله الحقوق ٢ : ٤٥٥ حق الصغير .

< صفحه ٤٠ >

وكم استغل الشذوذ البشرى ضعف الحيوان وقله حيلته ليتخذة وسيلة للعبه وطيشه ، فيجرى عليه تجارب طيش معتوه بفنون الحبس وفنون التعذيب ، وربما اتخذها مخبرا لقدراته فى الصيد ، فيجندل منها حتى يروى غروره فيعود منتفخ الصدر ومن ورائه عشرات الجثث الهامدة من أنواع الحيوان التى كانت تملأ الصحارى والحقول والأنهار والخلجان روحا وحركة وزينة وحياء . .

فإذا كان الاسلام دين الهداية الحقة الذى أخذ على عاتقه مسؤولية نظم الحياة واعمار الدنيا ، فلا تفوته العناية بالحيوان وحفظ حقه ، بعد أن أعطى الانسان ما يستحقه ، بل بعد أن تعدت رعايته للنبات الذى جعل تعاوده ورعايته عبادة جزاؤها الثواب العظيم ، وأعطى فى الجنة شجرة تضله لمن غرس فى الدنيا مثلها ، وزاد على ذلك أن نفخ فى روع تابعه أن لو كانت بيدك فسيلة ، وليس بينك وبين قيام الساعة إلا أن تغرس هذه الفسيلة فاغرسها قبل قيام الساعة !

ترى كيف كانت رعايته للحيوان الذى يعيش مع الانسان ويساهم فى اعمار دنياه ؟

صاحبة السفر :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله يحب الرفق ويعين عليه ، فإذا ركبت الدواب العجف فأنزلوها منازلها ، فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عنها ، وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها (١) .

(١) الكافي ٢ : ١٢٠ / ١٢ باب الرفق .

< صفحہ ٤١ >

إنها تحملكم وتحمل أثقالكم ، وكل عزائها أن تمر بأرض مخصبة تنهش منها أو ترتع فيها فتقوى على أمرها وتخفف العناء عن نفسها ، فلا تصنعوا معها صنع الحائق الناقم ، أو الغافل الذي همه نفسه وقد هيا لها الماء والزاد والراحلة دون أن يشعر بأن راحلته لها روح مثله ، فهي تضماً وتجوع وتجهد مثله . .

وفى المعنى ذاته قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : إذا سرت في أرض خصبة فارفق بالسير ، وإذا سرت في أرض مجدبة فعجل بالسير (١) .

وذاك الذي همه نفسه ، سيهرع إذا بلغ مقصده إلى أدنى فراش طلبا للاسترخاء ، ويدعو عاجلا بالماء والطعام فلقد أضناه السفر . . تاركا وراءه ظهرا حمله الطريق كله ، لأنه لا يملك نطقا يفصح فيه عن عنائه وحاجته ، وربما لو نطقت أيضا لما كان حظها أحسن عند هؤلاء !! ولهؤلاء يقول رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم :

من سافر منكم بدابة فليبدأ حين ينزل بعلفها وسقيها (٢) قبل ان ينشغل بطعام نفسه وسقيها . . حقوق الحيوان :

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها ، فقال : أين صاحب هذه الراحلة ، ألا تتقى الله فيها ، إما أن تعلقها ، وإما أن ترسلها حتى تبتغي لنفسها (٣) . هذه هي العدالة النموذجية .

(١) من لا يحضره الفقيه ٢ : ١٩٠ / ٦ باب ٩١ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ : ١٨٩ / ٥ باب ٩١ .

(٣) كنز العمال : خبر ٢٤٩٨٣ .

< صفحہ ٤٢ >

النبي ينصب محكمه لمن يترك الحمل على البعير في حالة توقفه عن السير ولا يدعه يستريح خلال هذا التوقف . لا تتخذوها كراسي :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اركبوا هذه الدواب سالمة وتدعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله تبارك وتعالى منه (١) ! .

فليس من حق المستخدم للدابة في الحمل والتنقل أن يتخذ منها كرسيًا لحديثه وتأمله وتفرجه ، فيوقفها وهو على ظهرها من أجل التأمل بمنظر أو الحديث مع شخص ، بل يلزمه النزول من على ظهرها حتى يقضى حاجته ثم يمتطيها لسفره . ثم يلزمه أن لا يركبها إلا وهي سالمة حتى لا يجهدا ويشق عليها ، ويضيف بذلك علة مرضية أخرى إلى علتها الأولى كما هو ملزم أيضا أن ينزل من عليها وهي سالمة وهذا يعني مراعاتها في سفره في الأكل والشرب والراحة .

ضرب الدابة :

حج علي بن الحسين عليهما السلام على ناقة أربعين حجة فما قرعها بسوط (٢) . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اضربوها

على النفار ولا تضربوها على العثار (٣) .

(١) كنز العمال : خبر ٢٤٩٥٧ . مستدرک الوسائل ٢ : ٥٠ .

(٢) وسائل الشيعة ٨ : ٣٥٢ .

(٣) الكافي ٦ : ٥٣٩ / ١٢ باب نوارى فى الدواب كتاب الدواجن .

< صفحہ ٤٣ >

وضربها على النفار تأديب لها على الوضع الطبيعى الذى لا يخرجها عن مهمتها التى شاءها الله لها فى الطاعة عند التسفير من حيث كونها مسخرة للإنسان ، وقد ذلها الله له ، أى جعلها سهلة الانقياد ، والضرب حال ترويضها وتأديبها عندما تنفر لا يمنع منه الاسلام ويقبله العقل . أما فى حالة عثارها فهذا أمر لا يتعمده الحيوان بل هو يجرى عليه دون اختيار . كما يحصل للإنسان ، أيضا فمن المنطقى أن لا يؤخذ عليه الحيوان ، وهذا ما جاءت به الشريعة الغراء .

هذه التعاليم المباركة قد لا يجد فيها إنسان العصر الحديث شيئا جديدا فى الرفق واللفظ ، أما فى ذلك الزمن البعيد وقبل أربعة عشر قرن فهى تعاليم جديدة أوقدت مصباح الرفق فى دنيا الغلظة وحنادس الجهل (١) .

ست خصال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : للدابة على صاحبها ست خصال : يعلفها إذا نزل ، ويعرض عليها الماء إذا مر به ، ولا يضربها إلا على حق ، ولا يحملها ما لا تطيق ، ولا يكلفها من السير إلا طاقتها ، ولا يقف عليها أفواجا (٢) .

داجن البيت :

وفى حديث وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قالت أم كلثوم : ثم نزل إلى الدار

(١) للمزيد راجع حقوق الدابة المندوبة والواجبة فى كتاب وسائل الشيعة ٨ : باب ٩ .

(٢) مستدرک الوسائل ٢ : ٥٠ . أفواق : جمع فواق بضم الفاء وهو الوقت بين الحلبتين ،

إشارة إلى الوقت القليل جدا .

< صفحہ ٤٤ >

وكان فى الدار وز قد أهدى إلى أخى الحسن عليه السلام فلما نزل خرجن وراءه وصحن فى وجهه وكن قبل تلك الليلة لم يصحن ، ثم قال : يا بنىة بحقى عليك إلا ما أطلقتيه فقد حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش ، فأطعميه واسقيه ، وإلا خلى سبيله يأكل من حشائش الأرض (١) .

عذبت امرأة فى هرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت فى النار صاحبة الهرة تنهشها مقبله ومدبرة ، كانت أوثقتها ، فلم تكن تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشائش الأرض (٢) . فالعدل الإلهى إذن بالمرصاد لمن لا يرفق بالحيوان .

غفر لامرأة فى كلب :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غفر الله لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركى ، يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقت به خمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك (٣) . فاللطف والرحمة والعفو والمغفرة اذن تشمل المومسة إذا صدر عنها مثل

هذا الرفق بالحيوان ، فما بال من يدرك ذى لهفة من بنى الانسان ويرفق بالضعيف والمحتاج واليتيم والأرمل وما شاكل ذلك ؟

قتل الحيوان بغير حق :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من دابة ، طائر ولا غيره ، يقتل بغير الحق إلا

.....

(١) مستدرک الوسائل ٢ : ٥٨ .

(٢) مستدرک الوسائل ٢ : ٥٨ .

(٣) كنز العمال : خبر ١٦٣٥٤ ، ٤٣٠٦٨ . روى : حافه البئر .

< صفحه ٤٥ >

ستخاصمه يوم القيامة (١) . نعم ، (وإذا الوحوش حشرت) (٢) وحشر الناس لرب العالمين ستظهر العدالة الكاملة فى يوم التغابن فلا مظلومية يعفو عليها الزمان حتى مظلومية الحيوانات . . ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا سأل الله عنها يوم القيامة (٣) .

أحسنوا الذبح :

إذا كان الله تعالى قد كرم الانسان وسخر له ما فى السماوات وما فى الأرض ، بما فى ذلك أصناف من الحيوان يتقوت بلحومها ، يضع حدا لحياتها من أجل أن يقيم حياته ، فإنه تعالى يرؤوف رحيم بهذه المخلوقات التى أدت رسالته خلقت لأجلها ، فلا يرضى استغلال اباحتها بما يتنافى مع الرحمة والرفقة والرفق بها ، فأمر عباده على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، صاحب الخلق العظيم ، الذى لا ينطق عن الهوى ، إذ قال : إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، ليحد أحدكم شفرته ، ليريح ذبيحته (٤) .

قتل العصفور :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قتل عصفورا عبثا عجز إلى الله يوم القيامة منه يقول : يا رب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة (٥) .

.....

(١) كنز العمال : خبر ٣٩٩٦٨ .

(٢) التكوير ٨١ : ٥ .

(٣) كنز العمال : خبر ٣٩٩٧٠ .

(٤) التفسير الكاشف ٢ : ١٨٨ .

(٥) كنز العمال : خبر ٣٩٩٧١ .

< صفحه ٤٦ >

قتل المؤذى :

وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : نهى عن قتل كل ذى روح إلا ان يؤذى (١) .

وبهذه التعاليم المسالمة والرحيمة بالحيوان يربى الاسلام أتباعه على الهدفية النافعة غير العبثية ، ويصنع من أحدهم مخلوقا وديعا رؤوفا رحيفا يرفق بالضعيف ولا- يطغى عليه . . فهنيئا لمن صاغ الاسلام شخصيتهم على فضائله ومكارم أخلاقه حتى صاروا وجودا نافعا لا ضرر فيه .

حضارة الغرب والرفق بالحيوان :

لعل الحضارة الغربية التى تتبجح بتأسيسها جمعيات الرفق بالحيوان وإنفاقها الكثير فى توفير الخدمات الصحية للحيوان وحمائته وتحسين أحواله المعيشية . . لكنها . .

أولا : هل تملك مثل هذا الرصيد فى عمق التأريخ ، تستند إليه فى طروحاتها

المعاصرة...؟!؟

وثانيا: هل تستطيع أن تفتح للانسان أفق السماء ، وتعدده بالعفو والمغفرة الإلهية والنعيم الأبدى بغير الرجوع إلى الاسلام؟!؟
وثالثا: أليس الأجدد بدعاة الرفق بالحيوان الاعتزاز بمن دعا إلى ذلك فى عمق الزمان ، والانتساب إليه فى المبدأ والطروح ، والاخذ عنه بما هو أهم من ذلك فيما يعود للانسان؟!؟
ورابعا: وأخيرا ، هل يخفى على الضمير الحى هذا التناقض البشع

(١) كنز العمال : خبر ٣٩٩٨١ . الوسائل ٨ : ٢٩٧ .

< صفحه ٤٧ >

المريع بين ما يدعونه وينفقونه فى خدمة الحيوان عامة ، والكلاب خاصة ، وبين واقعهم الوحشى الذى قام وتنامى على دماء الشعوب البريئة وطاقتها؟

إن اللبنة الأولى التى أنشأت عليها الحضارة الغربية المعاصرة كانت تجارة الرقيق! العمل الوحشى المشين! الذى ما كان يجرى - مع بشاعته - إلا - بأبشع الأساليب وأكثرها همجية وعدوانا ، إذ يباغتون أبناء القرى الضعيفة فى إفريقيا ، فيقتطعون منهم من شاءوا من الشباب والنساء ، غير مبالين بأطفال يفصلون بهذه الطريقة عن أمهاتهم ، ولا بالأمهات يسقن قسرا تحت وقع السياط بعيدا عن أطفالهن وأزواجهن ويوتهن!

لقد عرفت هذه الحضارة لكلاب أوروبا من الحقوق ما لا تعرفه لجميع شعوب العالم! ولم تنته سياسة امتهان الشعوب وسحق الأطفال والنساء فى عالم يدعى مناصرة الطفل والمرأة ويعلن حروبا تحت هذا الستار ، لم تنته هذه السياسة بانتهاك زمن تجارة الرقيق ، بل هى السياسة القائمة اليوم فى ظل ما يسمى ب(النظام الأمنى الجديد)! إنه التناقض المفصوح ، ولكنه تناقض الأقوياء الذين يغلفون سوءاتهم بما يمتلكون من قوة وبطش وقدره على إجماع الضعفاء .

< صفحه ٤٩ >

الفصل الثالث الرفق آفاقه و فلسفته

أ - إرفق برفق بك :

لما كان الله جل شأنه رفيق ويحب الرفق فلا شك أنه سبحانه سيقابل رفق الانسان بأخيه الانسان ، ورفق الانسان بالحيوان بالرفق واللطف والسماحة والتجاوز . فيما يخص تعامل الخالق مع مخلوقه فى الدنيا أو ما يعود لمحاسنته فى الأخرى قال تعالى : (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) (١) .

فعن زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام إنه قال : من وصايا الخضر لموسى عليه السلام ، ... ما رفق أحد فى الدنيا إلا رفق الله عز وجل به يوم القيمة (٢) .

(١) الرحمن ٥٥ : ٦٠ .

(٢) بحار الأنوار ٧٢ : ٢٨٦ .

< صفحه ٥٠ >

فمن أراد أن يرفق الله به فما عليه إلا ان يرفق بغيره .

ب - قد يكون الرفق خرقة:

إذا ادلهمت النفوس بآثامها وأطفئ مصباح فطرتها وعمت بصيرتها عن معرفة الصواب وضلت عن درب رشدتها وسبيل تكاملها لما تجمع من صداد الذنوب على أفئدتها (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (١) . فعند ذلك لا تستذوق تلك النفوس الفاسقة المنحرفة حلاوة الرفق الذى يستعمل معها ويستخدم من أجل خيرها وصلاحها ، فهى تقابل الرفق واللين واللطف والرحمة والسماحة والتجاوز أو العطف والرأفة بما يصاد ذلك من الخرق والشدء والغلظة والقسوة وتتبع العثرات والمحاسبة على الزلات والنقمة واللؤم . والحكمة تقتضى التعامل مع هذه النوعية من النفوس الخائبة الخاسرة بما يناسب ذلك مما يؤدى إلى تأديب نزقها وتعديل مسارها ، وتقويم اعوجاجها فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : وإذا كان الرفق خرقة كان الخرق رفقا (٢) .

وعليه فان من لا يصلحه الرفق أصلحته الشدة ، ومن لم يتقوم بالمسامحة تقوم بالمحاسبة ، ومن إذا ما رفقت به اندفع فى غيه وعناده وغروره وغطرسته ولم ينتفع بما تقدمه له من علاج ناجح ودواء نافع فما عليك إلا تركه فى مستنقع مرضه الأخلاقى وسقمه السلوكى وداءه الذى

.....

(١) المطففين ٨٣ : ١٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ١٦ : ٩٧ كتاب ٣١ .

< صفحہ ٥١ >

هو فيه حتى يتحول هذا الداء إلى موقظ له من غفلته ، فيصحوا بعد مصارعتة طويلا ومعاناته كثيرا بما سيجره عليه من بلاء وخيم حتى يتحسس ويدرك ما ينفعه مما يضره ، فإن استقام فهو المطلوب وإلا فدع ما به يقضى عليه وهو حسبه .

وفى الشعر الحكيمى :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلامة مضر ، كوضع السيف فى موضع الندى (١)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا : من لم يصلحه حسن المداراة يصلحه حسن المكافأة (٢) .

ومن كتاب لأمر المؤمنين عليه السلام إلى بعض عماله واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق (٣) .

وفى غرر الحكم : اخلط الشدة برفق ، وارفق ما كان الرفق أرفق .

فالمحمود عند اعتدال الأصول هو التوسط بين اللين والعنف ، كما فى سائر الأخلاق ..

يقول الغزالي : لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل ، كانت الحاجة إلى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر ، فلذلك أكد الشرع على

جانب الرفق دون العنف ، وإن كان العنف فى محله حسنا ، كما أن الرفق

.....

(١) إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٦ .

(٢) غرر الحكم : ٦٠٢ / ٥٥٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ١٧ : ٣ كتاب ٤٦ .

< صفحہ ٥٢ >

فى محله حسن .. فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى ، وهو ألد من الزيد بالشهد ! ..

والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور ، وإنما الكامل من يميز مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه ، فإن كان قاصر البصيرة ، أو

أشكل عليه حكم واقعه من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجاح معه فى الأكثر (١)

فالرفق هو وسيلة التعامل الفضلى ما أدى الغرض وأصاب الهدف الاصلاحى وحقق الغاية المنشودة ، إلا إذا كانت النتيجة خلافا لذلك

المبتغى ولم يكن الرفق أوفق فيتوسل بالشدة من أجل الروح المقدم والهادى إلى سواء الصراط .

ج - الرفق فى العبادة :

معلوم أمر العبادة أنها على نمطين اثنين : واجبة ومستحبة .
فالأولى : فرض يلزم الاتيان بها بحدودها وكمياتها وتوقيتاتها ..
والثانية : لك فيها الخيار فى إثباتها وعدمه ، إلا أن الاتيان فيه ثواب مضاعف
وأجر جليل ومردودات ايجابية على شخصيتك وبناءها التكاملية .
وما قد فرضه الله الحكيم سبحانه هو على قدر طاقة الانسان فلم يكلفه مالا يقدر عليه :

(١) إحياء علوم الدين ٣ : ١٨٦ .

< صفحہ ٥٣ >

(لا يكلف الله نفسا إلا ما آتتها) (١) .

(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢) .

(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) (٣) .

(والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (٤) .

(وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (٥)

(ولا على المريض حرج) (٦) .

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٧) .

(وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (٨) .

هذه الآيات المباركات وغيرها تخص العبادات الواجبات وليس المستحبات ، وكلها تتحدث عن مراعاة الله ، فيها طاقة الانسان ومقدوره وترفعه عن الإصر ولا تثقل عليه بما يشق عليه وبما يسبب له حرجا أو

(١) الطلاق ٦٥ : ٧ .

(٢) البقرة ٢ : ٢٨٦ .

(٣) البقرة ٢ : ١٨٤ .

(٤) آل عمران ٣ : ٩٧ .

(٥) النساء ٤ : ١٠١ .

(٦) النور ٢٤ : ٦١ .

(٧) البقرة ٢ : ١٨٥ .

(٨) الحج ٢٢ : ٧٨ .

< صفحہ ٥٤ >

عسرا فى أمر من الأمور العبادية ، وتفصيل ذلك والوقوف عند كل آية لا يتسع لها هذا البحث .

فإنه جل جلاله يرفق بهذا العبد ويلزمه بالتكاليف الممكنة والسهلة ويرضى منه باليسير إذا ما جاء وفق الضوابط الشرعية .

ويؤكد هذا ما جاء في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحارث الهمداني خادع نفسك في العبادة ، وارفق بها ولا تقهرها ، وخذ عفوها ونشاطها ، إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة ، فإنه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها (١) .

المخاطب بالتكاليف والوعظ والنصح هو الانسان ، والانسان إنسان بعقله إذ لا يحاسب إلا على قدر ذلك العقل الذي آتاه الله . ولهذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام قد خاطب في كتابه الشريف العقل وحمله مسؤولية مخادعة النفس وعدم تفويت الفرصة على مخادعتها والمكر بها قبل أن تمكر هي به ، فخداع العقل ومكره يعني التخطيط السليم للهدف السليم ، وخداع النفس ومكرها هو على العكس من ذلك ، فمن أراد كبح جماح نفسه وتحرير إرادته وعقله من أسر هواها ، فما عليه إلا أن يجعل المبادرة بيد عقله حتى يسجل في ميدان الصراع سبقا وغلبة على نفسه الامارة بالسوء .

ولما كانت النفس تميل إلى التحلل من التكاليف ومنها العبادة ، فما على العقل إلا أن يمكر بها ويخدعها بخطة خفية يرمج فيها أوقات هذه النفس على ما ليس فيه الملل من العبادة التي لا بد من الالتزام بها لاسعاف وجودها العاقل حتى تنمو وتسمو وتتقدم في مدارج الكمال .

.....

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزلي ١٨ : ٤٢ كتاب ٦٩ .

< صفحہ ٥٥ >

والرفق بها في هذا المجال يعني عدم تحميلها ما لا - تطيق من المسنونات المستحبة ككل ما جاء من الأوراد والأذكار والأدعية والصلوات ، إذ إن قهرها على ذلك يولد ردة فعل معاكسة - والعياذ بالله - تسأم فيه الاسلام كله ، فلا بد إذن من الرفق بها وأخذها بالتدرج وبما تتسع له حركتها ونشاطها ، بل وعدم أخذها بما يوقف حركتها أو يحد من نشاطها وينفرها من المستحبات ، بل عليه أن يقهرها في الواجبات على وفق الشروط والحدود والأوقات ، لأنها تكاليف من الحكيم الرحيم على قدر الطاقة والسعة . وما تعلق النفس وتسويقها إزاء تلك الواجبات إلا - طغيان منها يجب قمعه من أجل إصلاحها والنفس كالطفل إن تهمله شب * على حب الرضاع ، وإن تفضمه ينفطم فالرفق بالنفس وترويضها على العبادة المستحبة التي تطيقها هو السبيل الأمثل في منهجية التكامل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خذوا من العبادة ما تطيقون ، فإن الله لا يسأم حتى تسأموا (١) .

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام : لا تكثرها إلى أنفسكم العبادة (٢) . فمن أكره نفسه على العبادات المستحبة بما تمل منه فقد كره العبادة إلى نفسه .

د - الرفق والتعمق في الدين :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إياكم والتعمق في الدين ، فإن الله قد جعله سهلا

.....

(١) كنز العمال : خبر ٥٣٠١ .

(٢) الكافي ٢ : ٨٦ / ٢ باب الاقتصاد في العبادة .

< صفحہ ٥٦ >

فخذوا منه ما تطيقون ، فإن الله يحب ما دام من عمل صالح وإن كان يسيرا (١) .

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يعنف أحد أصحابه حين كلف نفسه مالا يأمر به الله ولا سنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يظن أنه متعمق في العبادة !

ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام قد زار العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه . . . ، فقال له العلاء ، يا أمير المؤمنين ، أشكو

إليك أخي عاصم بن زياد .

قال عليه السلام : وماله ؟ قال : لبس العباءة وتخلي عن الدنيا . قال عليه السلام : على به . فلما جاء قال عليه السلام : يا عدى نفسه ! لقد استهام بك الخبيث ! أما رحمت أهلك وولدك ! أتري الله أحل لك الطيبات ، وهو يكره أن تأخذها ! أنت أهون على الله من ذلك !

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك ! قال عليه السلام : ويحك ، إنى لست كأنت ، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل (الحق) أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس ، كيلا يتبيخ بالفقير فقره (٢) .

التحذير من التعمق في الدين يخص الجهلة به والذين يغورون في بحره بجهلهم دون علم ودراية وتدبر ، حتى يختنقوا بأوهامهم وتصوراتهم التي لا تقوم على أسس موضوعية ، وعندنا يخيل إليهم أن الدين شاق في تكاليفه ، عسير في عباداته ، والحال هو العكس تماما إلا أنهم أخذوا بالمستحبات مأخذ الواجبات ، فشق عليهم الأمر وخرجوا بالنتيجة المغلوطة . أو أنهم وسوسوا في الغسل والوضوء والطهارة والنجاسة وألفاظ الصلاة فملؤه . ولو أنهم أخذوا بما يطبقون لوجدوه سهلا يسيرا ، ولو لم يوسوسوا فيه لما ملوه .

.....

(١) كنز العمال : خبر ٥٣٤٨ .

(٢) نهج البلاغة ، خ ٢٠٩ .

< صفحة ٥٧ >

هالوغول في الدين برفق :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تكرر هوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى (١) .

نعم إن هذا الدين متين ، لأنه دين لكل زمان ولكل مكان ، وكتابه تبيان لكل شئ . . فمن لم يدخل إلى حريمه برفق ، وفق منهجية حكيمة ، ينبهر بجماله ، أو يصطدم بجلاله ، ومن يتكلف العبادة دفعة واحدة دون التدرج المرحلي المناسب للداخل في هذا الدين يصعب عليه تحمل هذا الدين ، فيتركه ، ويتركه والعياذ بالله يترك سعادته الدنيوية والأخروية . وعلى المسلم الرسالي أن يتصرف بحكمة متناهية في الدقة مع من يكسبه إلى الاسلام ، ولا يحمله ما لا يطيق فيكره الاسلام والدين وعبادة رب العالمين والله يقبل اليسير .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اجتهدت في العبادة وأنا شاب فقال لي أبي : يا بني دون ما أراك تصنع ، فأن الله عز وجل إذا أحب عبدا رضى عنه باليسير (٢) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن النفس ملولة وإن أحدكم لا يدرى ما قدر المدة ، فلينظر من العبادة ما يطيق ، ثم ليداوم عليه ، فإن أحب الأعمال إلى الله ما

.....

(١) كنز العمال : خبر ٥٣٥٠ .

(٢) الكافي ٢ : ٨٧ / ٥ باب الاقتصاد في العبادة .

< صفحة ٥٨ >

ديم عليه وإن قل (٣) .

فالنبي الأكرم في هذا الحديث وغيره يؤكد لنا حقيقة أن النفوس تمل ، وعلينا أن نرفق بها في أن لا نكلفها ما لا تطيق ، وأن نستديم

على اليسير من المسنونات التى لا تنفر منها نفوسنا ، وذاك أحب عند الله .

و - الرفيق من يرفقك على صلاح دينك :

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : إنما سمي الرفيق رفيقا لأنه يرفقك على صلاح دينك فمن أعانك على صلاح دينك فهو الرفيق (١) .

فاختر لنفسك رفيقا يرفق بك على صلاح دينك ويعينك على تكامل سبيلك .

الرفق والايمان :

عن الإمام الباقر عليه السلام : من قسم له الرفق قسم له الايمان (٢) ، هذا يعنى أن الرفق يفضى إلى الايمان .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : لكل شئ قفل ، وقفل الايمان الرفق (٣) فمن كان رفيقا بنفسه وبالناس وبالحيوان كان قلبه منفتحا للايمان .

(١) كنز العمال : خبر ٥٣١٢ .

(٢) غرر الحكم : ٢٧٣ / ٢٠ ، ط دار الكتاب الاسلامى . ميزان الحكمه ٤ : ١٥٨ والنص منه .

(٣) الكافى ٢ : ١١٨ / ٢ باب الرفق .

(٤) الكافى ٢ : ١١٨ / ١ باب الرفق .

< صفحه ٥٩ >

نتائج عدم الرفق بالنفس :

إن قصة البقرة فى القرآن قصة طريفة تحكى سهولة التشريع الإلهى ، وتشديد الانسان على نفسه فيما يضعه من قيود وضوابط لم يكن ملزم بها من قبل ربه ، فبنو إسرائيل بعد أن ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم ، أولم يطلب منهم إلا ذبح بقرة نكرة . غير معرفة بوصف معين كما هو منطوق الآية الشريفة (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) (١) فهو سبحانه لم يعرفها بالألف واللام ليسهل عليهم التكليف ولتحقق مراده بذبح أى بقرة أرادوا ذبحها ، وتحل مشكلتهم تلك بمعرفة الجانى الذى قتل أحد مشايخهم الأثرياء بضربه ببعضها ليحيا ويشخص لهم القاتل وينتهى الخلاف المتأزم بينهم .

إلا أنهم مارسوا اللجاجة وماطلوا كثيرا فى أداء التكليف ، متهمين موسى عليه

السلام بالهزو فيهم ، إذ قالوا : (أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) (٢) ، لان الهزو يناسب الجهال وهو كليم الله (

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) (٣) ظنا منهم أنها ذات خصوصية فريدة فى أوصافها قال : (إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر)

(٤) أى ليست مسنة ولا صغيرة وإنما هي (عوان بين ذلك) أى متوسطة (فافعلوا ما تؤمرون) (٥) فى ذبح هكذا بقرة ولا تماطلوا

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) متكلفين

.....

(١) البقرة ٢ : ٦٧ .

(٢) البقرة ٢ : ٦٧ .

(٣) البقرة ٢ : ٦٨ .

(٤) البقرة ٢ : ٦٨ .

(٥) البقرة ٢ : ٦٨ .

< صفحه ٦٠ >

البحث فيما ليس مطلوباً منهم ومشددين على أنفسهم بما لم يشدد به عليهم (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) (١) غير أنهم لم يقفوا عند هذا الحد من اللجاجة والمماطلة فيذبوحوا بقرة صفراء متوسطة العمر ، وما أكثر البقر الذى يتمتع بهذه المواصفات ، فلم يريحوا أنفسهم ولا نبيهم من عناء البحث والتدقيق بل نراهم اندفعوا فى أسئلتهم التى تعقد عليهم الامر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا) ؟!! (وإنا إن شاء الله لمهتدون) (٢) يا لهم من حمقى لا يرفقون بأنفسهم ولا يتأدبون مع نبيهم ، إذ لم يسكتوا عما سكت عنه ، ويا لهم من متكبرين فى نفوسهم وألفاظهم إذ لم يقولوا ادع لنا ربنا وإنما قالوا ادع لنا ربك ؟ !

ومثل هذا الطرح يدل على ضعف الايمان وغلظة الجنان ، ولعل المقصود من قولهم (وإنا إن شاء الله لمهتدون) يعنى إلى التصديق العملى بأوامرك وتنفيذها ، قال : (إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) بين يدي مالكها ، طبعها النفور وعدم الانصياع ، صعباء لا تنقاد . فهى متمردة على العمل لا (تثير الأرض) (٣) أى لا تستخدم فى حراثة الأرض كغيرها من البقر الذلول الذى ذلل بين يدي صاحبه (ولا تسقى الحرث) إذ هى ترفض العمل كغيرها فى إدارة الناعور (مسلمة) من العيوب الجسدية (لا شية فيها) لونها أصفر بالكامل حتى قرننها وظلفها .

وهكذا شدد الله عليهم بتشديدهم على أنفسهم (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالوصف

.....

(١) البقرة ٢ : ٦٩ .

(٢) البقرة ٢ : ٧٠ .

(٣) البقرة ٢ : ٧١ .

< صفحہ ٦١ >

الشامل الكامل (فذبوحها وما كادوا يفعلون) (١) للجاجتهم وقد أعتبتهم هذه المواصفات وأبهضهم ثمنها ، إذ لم تكن هناك إلا بقرة واحدة تتمتع بهذه الأوصاف النادرة ، ولم يعثروا عليها إلا بشق الأنفس ، فلو رفقوا بأنفسهم لرفق الله بهم ، ولكنهم ضيقوا على أنفسهم فضيق الله عليهم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال : لولا أن بنى إسرائيل قالوا : (وإنا إن شاء الله لمهتدون) ما أعطوا أبدا ، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبوحها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشد الله عليهم (٢) .

وعن الإمام على عليه السلام : لكل دين خلق وخلق الايمان الرفق (٣) . فالرفق إذن خلق الايمان وهذا يعنى إنك لا تجد مؤمنا حقا إلا وتجد رقيقا وسهلا لنا عطوفا رؤوفا ، ولا تجد متمتعا بهذه الخصال إلا ووجدته سهل الانقياد إلى الايمان . اللهم أعنا على أن نرفق بأنفسنا وبمن حولنا ولا تحرمننا رفقك ولطفك يا أرحم الراحمين .

(١) البقرة ٢ : ٧١ .

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١ : ١٠٤ . والكشاف ، للزمخشري ١ : ١٥١ . وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ١ : ١١٥ .

(٣) غرر الحكم : ٣٢ / ٥٤٢ ، ط دار الكتاب الاسلامى .

< صفحہ ٦٣ >

الخاتمة

إن نظرية الاسلام فى الأخلاق الاجتماعية تقوم على الرفق واللطف والتسامح والتجاوز ، من غير ضعف ولا مدهانة بل من أجل الهداية

للرشد والتكامل . إن القرآن المجيد يعتبر التخلق باللين ومجانبة الفظاظه والغلظة من أهم عوامل استقطاب الناس في درب الحق ، ويدعو إلى العفو عن المسيء والاستغفار للمذنب ومشاورتهم في الأمور العامة ، والعزيمة بعد ذلك من حصه القيادة الشرعية .
 إن القرآن يأمر بخفض الجناح للمؤمنين رفقا بهم وتواضعا لهم وإعازا لشخصيتهم .
 إن القرآن يصف عباد الله المتواضعين بقوله : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) أى من غير استعلاء (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (١) أى لا يمارون بل يرفقون بالآخرين ولا يحملوهم فوق ما يطيقون .
 ويعتبر المتواضعين فى سيرهم الرسالى هم الرحمانيون ما داموا متخلقين بالرحمة .

(١) الفرقان ٢٥ : ٦٣ .

< صفحه ٦٤ >

إن القرآن يرى الهجر الجميل هو النموذج الرسالى الواعى فى عمليه التبليغ ، ويرفض ترك الآثار السلبيه فى نفوس المعاندين ما دام هناك أمل للعودة للتبليغ فى وسطهم .

إن القرآن يلزم أتباعه بأن يدفعوا السيئه بالحسنه وبالطريقه الحسنى ويريد منهم أن يتعاملوا مع الآخرين تعامل الولى الحميم رفقا بهم من أجل خيرهم وصلاحهم . إن القرآن يعتبر المتخلقين بذلك هم من اولى الحظ العظيم فى السجاياء الفاضله . ومن أهل الكرامه والنعيم الأبدى .

إن أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم تؤكد على الرفق وتنعت بأفضل النعت ، فهو اليمن والبركه والجمال فى الجوهر والمظهر ، وهو الخير والكرم ونصف المعيشه ووزير الحلم .

إن الأحاديث الشريفه تؤكد أن الله رفيق ويحب الرفق فى الامر كله ، وأن الله سبحانه يعين على الرفق .

إن الاسلام يأمر بالرفق بالحيوان ويحاسب على ذلك دنيا وآخره . إن أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهره المطهره عليهم السلام تقول : إرفق بالآخرين يرفق بك .

إن الرفق رأس الحكمة .

إن من لا يستحق الرفق يكون الرفق معه خرقا .

إن من لم يصلحه الرفق تصلحه الشده .

< صفحه ٦٥ >

إن من الرفق الرفق بالنفس ، وعدم تحميلها ما لا تطيق تحت شعار العباده .

إن من يضيق على نفسه يضيق الله عليه .

على العقل أن يمكر ويخطط لمواجهة مكر النفس وخداعها .

نهى الجهال عن التعمق فى الدين من غير وعى .

إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق .

إن الرفيق من أعانك على صلاح دينك .

إن الايمان يفضى إلى الرفق وإن الرفق يفضى إلى الايمان .

والحمد لله رب العالمين

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أُخِيًّا أَمَرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرّي الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية وعلمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأدقّ للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبة، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيّة و مكتبيّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كمشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فاني/ "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدِّ التّمكّن لكلِّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

